

جريدة الجمهورية 2012/4/28

كم كان مخطئاً Confucius

ربط الفيلسوف الصيني Confucius الذي عاش في القرن السابع ميلادي السياسة بالأخلاق ، كذلك فعل لاحقاً تلميذه الروحي Mancius بعد قرن من وفاته ، كما أكد Montesquieu على هذا الأمر أيضاً ، لكنهم ربما تراجعوا عما قالوا لو سمعوا خطاب نواب الأمة في لبنان .

هكذا نسي بعض أعضاء الأمة أن الممارسة السياسية يجب أن تتحلّى بالأخلاق لأنهم صورة مجتمع ، وقد نقلوا ثقافة الشارع إلى حلبة السياسة حيث تتصارع الأفكار فلا تباري على الشتيمة والسباب ، ولا فعل أو ردات فعل بل مقارعة حجج وانتقاد للحكومة بهدف تحسين أدائها ، والحفاظ على المال العام وصيانة حقوق المواطنين والرقابة على حسن سير المرفق العام .

لكن ما شهدته المواطنون على شاشات التلفزة من انحدار أخلاقي بدلاً من الإرتقاء إلى مستوى المسؤولية الملقاة على عاتق ممثلي الأمة في دولة يغيب الإصلاح عنها لردهة طويلة من الزمن والتغيير فيها شبه مستحيل .

وقد ختم الرئيس بري مواقف الهرج والمرج بموقف سياسي فيه انقضاظ على الطائف وعلى مبدأ المناصفة والعيش المشترك ، وعلى حقوق مجموعة أساسية قام لبنان بسببها كي تبقى مشاركة في صنع القرار السياسي إلى جانب مجموعة أخرى يحكمهما العيش معاً في رسالة حضارية نموذجية مبنية على التعدد والتنوع واحترام الآخر ضمن إطار المواطنة التي تنتمي إلى واقع لبنان التاريخي والحضاري وإلى نضالات أجداده وأبطاله كل أجداده وأبطاله .

فإذا بات العيب أمراً عادياً في الحياة البرلمانية من سرقة وفساد وصفقات وتصدع أمني فهل يعني ذلك أنه آن الأوان للإنتقضاظ على الطائف في زمن التهجير والإعتيال السياسي المستمرين وزمن حكم السلاح الذي لا يقبل المزاح كما صرّح نائب يفترض أنه رئيس لجنة الإعلام النيابية كان من بين مهامه قطع كابلات البث الفضائي لتلفزيون المستقبل في أحداث 7 أيار !!!

وبما أن شهود الزور ارتاحوا في زمن حكومة نشأت على خلفية أن حكومة الوحدة الوطنية خشيت أن تطرح هذا الأمر ، فجاءت حكومة السلاح لتعالجه أو لتعجنه فيتخمر في أدراج أجدتها السياسية التي باتت الأولوية لديها السطو السياسي نعم السطو السياسي . فمن تمكّن من طرح شعارات تقضي على أهم إنجازات الطائف أي " المناصفة " والشراكة الحقيقية بسبب عدم السعي المشترك لرفع الغبن اللاحق بالمسيحيين وإزالة الشوائب التي رافقت تطبيق الطائف منذ العام 1990. إذ منذ خروج السوريين في نيسان 2005 كان يقنضي العمل على إزالة هذه الشوائب التي ضربت بعرض الحائط المناصفة ، لكن السكوت الذي يلوذ به البعض من أصحاب الحقوق ، والصمت المدوي لمن يجب أن يدافع عن وطن الأرز يذكرني بالفراغ الكبير الذي خلفه البطريرك صفير يوم قرر أن يرتاح من تفاصيل اليوميات المملة ، بعدما أنجز الكثير من دعائم الإستقلال الثاني ، حيث كان الكل مدركاً للمسار الذي اتخذه خلال تولّيه سدة بكركي حتى بات محبوه ومعارضوه يستشعرون مسبقاً مواقفه في معظم القضايا التي تطال فلسفة قيام الدولة اللبنانية .

أما اليوم وفي ظل الفراغ الكبير الذي أحدثته إنكفاء الكبار وانشغال الصغار بفتات الإستئثار ، هؤلاء الذين لا يمكن لهم أن يستأهلوا وطناً ولا يمكن لهم أن يوحده ويصونوا سيادته واستقلاله وقراره الحر ، فلا تظنوا أيها اللبنانيون بعد ما شهدناه في المناقشات العامة الأخيرة أن للحياة مكاناً وأن مقولة " إرتباط العمل السياسي إرتباطاً وثيقاً بالأخلاق " لم تعد قائمة في هذا الزمن ، بل أن الفجور السياسي وثقافة الفساد

والتضليل Manipulation des informations باتوا من مقومات العمل السياسي الحالي ، فتتعم يا لبنان بعوامل الإستقرار هذه وبحكومة يضرع البعض لله لبقائها ، وكم أنجزت هذه الحكومة في مسيرتها من إنجازات يستحي الإنسان بها ويخجل التاريخ منها ، وقد جعلتنا نتحسر على حكومات الوصاية التي تجاوزت بقايل من الحياء المعوقات الإجتماعية والإقتصادية والإدارية ، حيث كان للكهرباء عز وللخليوي رهجة ولم ينقطع الإتصال مرات ومرات لإجراء مكالمة واحدة ، وكان الفساد حينها لا يدعي العفة . وقد أحسنت سلطة الوصاية إدارة التعايش بين أكلة الجبنة والفريق الذي يحمل مشروعاً نهضوياً للبنان وأقصت في الوقت عينه فريقاً كبيراً عن الحكم . أما الفجور السياسي في هذا الزمن الرديء فقد دفع البعض إلى القول " حكمتم البلد منذ 1992 حتى 2010 بنسبة 80 % من فترة الحكم هذه " ، وقد تناسوا أن من حكم البلد في حينها كان يمنح رئيس الحكومة أقل من ثلث الوزراء وحصّة مماثلة أو تزيد للرئيس وتأخذ الوصاية حصّة الأسد ، فيكون من اتهم بأنه حكم 80 % في تلك الفترة قد تولى الحكم فعلياً بأقل من 30 % من نسبة الحكم هذه ، فيما أكلة الجبنة باتوا اليوم من أهل العفة ينؤون تحت الإرث الثقيل الذي خلفته حكومات كانوا فيها شهود زور ، وقد مرت من أمامهم الصفقات وسار الهدر من تحتهم وما أدركوا في حينها أن كلفة بناء أتوستراد في الجنوب تفوق بعشر مرات كلفة بنائه في بيروت والجبل والشمال ، وهم اليوم يتفرسون وينظرون على الإرث الثقيل وتناسوا أنهم كانوا الجزء الأكبر من مسبباته ، وأنهم يضربون الإرث الحقيقي للبنان دون خجل أو وجل ، لذلك قلت كم كان مخطئاً Confucius .

المحامي الدكتور أنطوان أ. سعد